تحرّر من العلمانية

تمهيد:

انطلاقًا من خطورة هذا الفكر الدخيل، وما أحدثه من آثارٍ مدمّرة في عقول الناس ومجتمعاتهم، أخذ قسم الدرجات في مؤسسة المصطفى العالمية للتبليغ والتوعية والإرشاد على عاتقه إعداد هذه الرسالة الهادفة الموسومة بـ (تحرّر من العلمانية)، تسعى إلى تسليط الضوء على أبرز صور العلمانية ومخاطرها الفكرية والروحية والاجتماعية، باحثةً في الوقت نفسه عن سبل الوقاية والتحرّر منها، بما ينسجم مع نهج الإسلام الأصيل وفكر أهل البيت (عليهم السلام).

تأليف: الشيخ خالد الحنتوشي الركابي.

معنى العلمانية وجوهرها

العَلمانيّة في أصلها فكرةٌ تقوم على فصل الدين عن الحياة العامة، وعن شؤون الدولة والسياسة والتعليم وسائر مجالات المجتمع، بحجّة أن الدين علاقةٌ فردية بين الإنسان وربّه، لا شأن له بتدبير شؤون الناس ولا بإدارة الحياة.

فهي لا تُنكر وجود الدين صراحةً، لكنها تُفرغه من محتواه، وتحبسه في دائرةٍ ضيّقةٍ من الشعائر الشخصية والعبادات الشكلية، دون أن تسمح له بالتدخّل في التشريع أو الأخلاق أو الاقتصاد أو السياسة.

لقد وُلدت هذه الفكرة في أوروبا بعد صراعاتٍ مريرةٍ بين الكنيسة والعلماء في القرون الوسطى، حينما تحوّل الدين المحرَّف هناك إلى سلطةٍ قمعيّةٍ تحارب العقل والعلم، فثار الناس عليها، فكان ردّ فعلهم أن نبذوا الدين كلّه من الحياة. غير أنّ الخطأ الجوهري وقع عندما نقل بعض المفكّرين المسلمين تلك التجربة إلى واقعٍ مغايرٍ تمامًا، متناسين أنّ الإسلام دينٌ شاملٌ للحياة، يجمع بين الروح والعقل، والدنيا والآخرة، والعلم والإيمان.

قال تعالى: **((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ))**[1].

---

(١) سورة النحل، الآية ٨٩.

فهو تبيانٌ لكلّ ما يصلح حياة الإنسان، لا مجرد مواعظ روحية.

خطورة الفكر العلماني

إنّ أخطر ما في العلمانية ليس شعاراتها البرّاقة، بل نتيجتها العملية المتمثّلة في فصل الدين عن واقع الحياة. فهي لا تكتفي بمحاربة الشريعة علنًا، بل تعمل على تجفيف منابع الإيمان في النفوس، حتى يصبح الدين طقسًا بلا روحٍ، وإيمانًا بلا التزامٍ، وعبادةً بلا أثرٍ في السلوك.

وقد حذّر أمير المؤمنين (عليه السلام) من هذا الانفصام في الدين، فقال: **(لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ وَيَرْجُو التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ)**[1].

إنّ مشروع العلمانية، وإن ظهر بلباس الحرية والتجديد، إنما هو في حقيقته إقصاءٌ للدين وإلغاءٌ لسلطان الوحي، واستبداله بعقلٍ بشريٍّ متقلّبٍ يشرّع من دون الله. وقد قال تعالى: **((أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ))**[2].

أنواع العلمانية

١- العلمانية الجزئية:

تسعى إلى فصل الدين عن السياسة فقط، لكنها تُبقي له دورًا محدودًا في المجال الأخلاقي والاجتماعي. وهذه الصورة تُقدَّم على أنها (اعتدال)، لكنها في حقيقتها تمهيدٌ لتجريد الدين من سلطانه الكامل.

٢- العلمانية الشاملة:

---

(١) الشريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة، ٤٩٧.

(٢) سورة الشورى، الآية ٢١.

وهي الأخطر، إذ تهدف إلى طرد الدين من جميع مجالات الحياة: من التعليم والثقافة والإعلام، وحتى من ضمائر الناس، فيصبح الدين مجرّد ذكرى تراثية. قال تعالى: **((نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ))**[1].

فمن نسي الله أضاع هويته وكرامته، ورضي أن يعيش في فراغٍ روحيٍّ قاتل.

أسباب انتشار العلمانية في المجتمعات المسلمة

١- الاحتكاك التاريخي بالغرب الاستعماري

عندما ضعف المسلمون علميًا واقتصاديًا، وانبهروا بالتقدّم الماديّ الغربي، ظنّ بعضهم أنّ سرّ قوّة الغرب في إبعاده الدين عن الحياة. فصاروا يقلّدونه تقليدًا أعمى دون إدراكٍ لجوهر اختلاف الحضارتين.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): **(مَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ)**[2]، فالغفلة عن الذات الثقافية والدينية هي أول أسباب الهزيمة الفكرية.

٢- ٢. الاستشراق وتشويه الدين

عمل المستشرقون على تصوير الإسلام كدينٍ جامدٍ معادٍ للعلم والحضارة، فغرسوا في العقول عقدة النقص أمام الغرب، وروّجوا لمفهوم الحرية المزيّفة التي تُنافي الالتزام بالشريعة.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): **(احْذَرُوا عَلَى دِينِكُمْ ثَلَاثَةً رَجُلًا قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ عَلَيْهِ بَهْجَتَهُ اخْتَرَطَ سَيْفَهُ عَلَى جَارِهِ وَرَمَاهُ بِالشِّرْكِ...، وَرَجُلًا اسْتَخَفَّتْهُ الْأَكَاذِيبُ كُلَّمَا أَحْدَثَ أُحْدُوثَةَ كَذِبٍ مَدَّهَا بِأَطْوَلَ مِنْهَا وَرَجُلًا آتَاهُ اللَّهُ سُلْطَاناً فَزَعَمَ أَنَّ طَاعَتَهُ طَاعَةُ الله وَمَعْصِيَتَهُ مَعْصِيَةُ الله)**[3].

٣- النخب المتغرّبة

---

(١) سورة التوبة، الآية ٦٧.

(٢) الشريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة، ص٤٥٢.

(٣) الشيخ الحر العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة، ج٢٧ ص١٣٠.

تلك الفئة التي تبنّت خطابًا يُلبس العلمانية ثوب (الإصلاح الديني)، فصارت تدعو إلى (تجديد الدين) لا بإحيائه، بل بتفريغه من جوهره. فكان شعارهم (الدين لله والوطن للجميع)، في ظاهرٍ جذّابٍ، لكنه يعني عمليًا طرد الدين من ميدان الحياة.

٤- الاستعمار الثقافي والإعلامي

مارس الغرب استعمارًا جديدًا لا بالدبابات بل بالعقول، من خلال التعليم والمناهج والإعلام، حيث صُوِّر الدين على أنّه عائقٌ أمام التطوّر. فأُضعفت صورة العلماء، وجرى تقديم (الحداثة) على أنها الخلاص الوحيد.

قال تعالى: **((يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ))**[1].

آثار العلمانية

أولًا: أثرها على الفرد

إنّ أولى ضحايا الفكر العلماني هو الإنسان نفسه، لأنه حين يُبعد الدين عن مجالات حياته يفقد بوصلته الوجودية التي تهديه سواء السبيل، فيعيش في اضطرابٍ بين العقل والمادة، وبين الفطرة والإغواء. ويمكن تلخيص آثارها الفردية بما يلي:

١. ضعف الارتباط الديني

حين تُقدَّم الحياة وكأنها مشروع دنيويٌّ بحت، منفصلٌ عن الهداية الإلهية، يبدأ الإنسان بالنظر إلى الدين بوصفه شأنًا شخصيًا لا علاقة له بقراراته ولا بمساره الأخلاقي. فيتحوّل الإيمان إلى عادةٍ شكليةٍ لا تُوجّه السلوك.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحالة بقوله تعالى: **((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ))**[2].

أي أنّ من نسي خالقه، فقد نسي غاية وجوده.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

(٢) سورة الحشر، الآية ١٩.

٢. فقدان المعنى الروحي

العلمانية تجعل معيار النجاح هو المكسب الماديّ فقط، فتمتلئ الأيدي وتفرغ القلوب. يعيش الإنسان تحت وهم التقدّم بينما هو في داخله يعيش فراغًا روحيًّا مؤلمًا. ومن ربط وجوده بالدنيا فقد فقد المعنى الأعلى الذي لا يمنحه إلا الإيمان.

٣. تغيّر القيم والمفاهيم

حين يُستبدل الوحي بالعقل المنفصل عن الهداية، يتحوّل ميزان القيم من (الحلال والحرام) إلى (المنفعة والحرية الشخصية)، فيصبح معيار الخير ما يوافق المصلحة الآنية لا ما يرضي الله.

قال تعالى: **((أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ))**[١]، أي من جعل الهوى مرجعًا في التشريع والاختيار.

٤. استقلال الفرد عن المرجعية الدينية

يرى الفكر العلماني أنّ الإنسان مكتفٍ بذاته، وأنّ عقله وحده كافٍ لتحديد الصواب والخطأ، فيُقصي الدين عن توجيه الفكر والعاطفة والسلوك. وهذه هي بداية الانفصال عن النور الإلهي الذي وصفه الله بقوله: **((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))**[٢]، فمن ابتعد عن النور لم يبقَ له إلا ظلمة العقل المتحيّر.

٥. التناقض الداخلي

حين يحاول الإنسان التوفيق بين الفطرة التي تميل إلى الإيمان، وبين الفكر الذي يحصر الدين في الزاوية الخاصة، يعيش صراعًا داخليًّا مريرًا. وهذا ما يفسّر الاضطراب النفسي والقلق الوجودي المنتشر في المجتمعات المادية.

٦. الانفتاح المفرط واللامبالاة الأخلاقية

---

(١) سورة الجاثية، الآية ٢٣.

(٢) سورة النور، الآية ٣٥.

حين تُرفع قدسية الحدود الدينية باسم الحرية، يصبح كلّ انحرافٍ مبرَّرًا، وكلّ انحلالٍ حريةً شخصيةً. فينحدر المجتمع الأخلاقي إلى فوضى سلوكيةٍ لا ضابط لها. فقد ورد في الحديث: **(إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)**[1].

فالحياء من الله هو السدّ الأخير قبل الانحراف، فإذا انهدم ضاع كلّ رادع.

ثانيًا: أثر العلمانية على المجتمع

كما تُضعف العلمانية الفرد من داخله، فإنها تفتّت المجتمع من خارجه، إذ تُذيب الروابط الدينية وتُبدّل القيم الجماعية بقيمٍ ماديةٍ نفعية، فيتحول المجتمع من (أمّةٍ) إلى (جماعة أفراد). ومن أبرز آثارها المجتمعية:

١. تحويل الدين إلى طقوسٍ فردية

تُقلّص العلمانية الدين إلى صومٍ وصلاةٍ لا أثر لهما في الحياة العامة. فيُصبح الدين بلا سلطةٍ تشريعيةٍ أو اجتماعية، ويُفصل الإيمان عن السلوك.

٢. إضعاف الهوية الدينية

حين يكون المرجع في التشريع بشريًّا لا إلهيًا، تضيع هوية الأمة، لأن القوانين الوضعية لا تعبّر عن روح الأمة الإسلامية التي تستمد شرعيتها من الوحي. قال تعالى: **((إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ))**[2].

٣. فصل الأخلاق عن السياسة

أخطر نتائج العلمانية السياسية أنها تجعل السياسة بلا ضمير، وتُجيز الخداع والمكر والمصلحة باسم (البراغماتية). فتصبح السلطة هدفًا بذاتها لا وسيلةً لإقامة العدل.

٤. تشويه صورة العلماء والمرجعية

---

(١) النورى، حسين بن محمد تقي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج٨ ص٤٦٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٧.

من وسائل الفكر العلماني تشويه صورة رجال الدين والمرجعية، حتى يفقد الناس الثقة بهم، فيُفصل المجتمع عن قيادته الروحية.

والمرجعية التي تتعدّاها الأهواء تُهان في أعين الناس، فيُستبدل بها إعلاميون وفنانون يصنعون رأي الأمة.

٥. ذوبان المجتمعات الإسلامية في الثقافة الغربية

العلمانية تُمهّد الطريق لهيمنة الثقافة المادية والاستهلاكية، فتُصبح القدوة الممثّل لا العالم، والغاية الترف لا العبادة. وهكذا تُستبدل القيم الربانية بقيم السوق والشهوة.

أما القوى التي غذّت هذا الاتجاه فهي:

- الاستعمار الغربي الذي سعى لتفكيك وحدة الأمة بإضعاف الدين.
- النخب المتغربة التي تلقت تعليمها في بيئاتٍ علمانية فحملت فكرها إلى الداخل.
- وسائل الإعلام التي لمعَت النموذج الغربي وشوّهت النموذج الإسلامي.
- المؤسسات الفكرية الدولية التي تسعى لإعادة صياغة المجتمعات المسلمة بما يوافق مصالحها السياسية والاقتصادية.

قال تعالى: **((وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً))**[1].

ثالثًا: التطبيقات والمصاديق

لم تبقَ العلمانية مجرّد فكرٍ نظري، بل تجسّدت في تطبيقاتٍ واقعيةٍ في حياة المسلمين، منها:

١- التشريعات المدنية المخالفة للشريعة:

كقوانين الأسرة والميراث والمعاملات الربوية، التي تُقصي أحكام الله وتستبدلها بأحكام بشرية. قال تعالى: **((وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ))**[2].

---

(١) سورة النساء، الآية ٨٩.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٤.

٢- إقصاء المرجعية الدينية عن السياسة:

بتهميش العلماء تحت شعار (فصل الدين عن الدولة)، وهو شعارٌ يراد به تفريغ السلطة من روح العدالة الإلهية، لتُدار بلا وازعٍ ديني.

٣- المناهج الدراسية المنفصلة عن العقيدة:

حيث تُقدَّم المعرفة وكأنها قائمةٌ بذاتها، دون الإشارة إلى مصدرها الإلهي أو غايتها الأخروية، فينشأ جيلٌ يَعلم ولا يهتدي.

٤- الخطاب الإعلامي والفني:

الذي يروّج للدين كطقسٍ فرديٍّ بلا بُعد اجتماعي، فيظهر المتدين وكأنه كائنٌ غريبٌ عن الحياة العصرية، فتُغرس صورةٌ سلبيةٌ عن الإيمان.

مواجهة العلمانية والتحرّر منها

إنّ التحرّر من العلمانية ليس رفضًا عابرًا لأفكارها، بل هو مشروع وعيٍ وإحياءٍ حضاريٍّ شامل، يستعيد للدين مكانته في الفكر والوجدان والواقع. فمواجهة هذا الفكر المنحرف لا تكون إلا بفكرٍ أعمق، وإيمانٍ أصلب، ومؤسساتٍ أقوى، وروحٍ تقف على بصيرةٍ من أمرها، كما قال تعالى: **((قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي))**[١].

أولًا: المواجهة الفكرية

إنّ أولى جبهات المواجهة هي جبهة العقل والفكر، حيث يُروّج العلمانيون لوهم (حصر الدين في الطقوس)، ونزع قدرته على إدارة الحياة. ومن هنا وجب على الأمة أن تؤكّد شمولية الشريعة وقدرتها على مواكبة جميع مجالات الوجود الإنساني، من العبادة إلى السياسة، ومن الأخلاق إلى الاقتصاد.

قال تعالى: **((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))**[٢]. وقال سبحانه أيضًا: **((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ))**[١].

---

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٦٢.

هاتان الآيتان تهدمان أساس الدعوى العلمانية التي تزعم أنّ الدين لا شأن له بالحياة العامة، إذ تؤكدان أن الإسلام منهج حياةٍ كامل لا يفرّق بين عبادةٍ ومعاملةٍ، ولا بين الروح والمجتمع.

فالإسلام دينٌ شاملٌ نظم أدقّ تفاصيل الحياة: في الأكل واللباس والمعاملة والنظام السياسي، ولم يترك واقعةً إلا ولله فيها حكم. قال تعالى: **((مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ))**[٢].

وفي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): **(مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ إِلَّا وَلَهُ أَصْلٌ فِي كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ وَلَكِنْ لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُ الرِّجَالِ)**[٣].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): **(مَا مِنْ حَادِثَةٍ إِلَّا وَلله فِيهَا حُكْمٌ)**[٤].

فكلّ من يحصر الدين في المعبد، أو يزعم أنّ الشريعة لا تصلح لتنظيم الاقتصاد والسياسة، إنما ينزع عن الإسلام جوهره، ويجهل عمق قوله تعالى: **((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي))**[٥].

ثانيًا: المواجهة العملية

إنّ الفكر لا يثمر ما لم يُترجم إلى عملٍ ومؤسساتٍ ومشاريع إصلاحٍ واقعية. والمواجهة العملية للعلمانية تقوم على خطواتٍ واضحة، منها:

١- إصلاح المناهج الدراسية: بدمج المعارف الدينية في كلّ مجالات التعليم، لتربية جيلٍ يرى الدين مرجعًا في الفكر والعلم والسلوك.

٢- تفعيل دور العلماء: عبر مشاركتهم الفاعلة في قضايا الأمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فهم ورثة الأنبياء وحماة القيم.

---

(١) سورة نحل، الآية ٨٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج١ ص٦٠.

(٤) الشيخ الحر العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة، ج٢٧ ص٥٢.

(٥) سورة المائدة، الآية ٣.

٣- تربية دينية متوازنة: تُربّي على أن الدين ليس طقوسًا، بل نظام حياةٍ متكاملٍ يسري في الأخلاق والسياسة والاقتصاد.

٤- إعلام بديل: يقدّم صورةً واقعيةً عن الإسلام كمنهجٍ شاملٍ للنهضة والكرامة الإنسانية، بدل الصورة السطحية التي تروّجها وسائل الإعلام العلمانية.

٥- برامج شبابية: تُعزّز الهوية الدينية، وتكشف زيف الشعارات الخادعة مثل (حرية بلا حدود) أو (تقدّم بلا إيمان).

٦- بناء مؤسساتٍ إسلامية قوية: تعليمية، إعلامية، وثقافية، تحمل روح الدين في مضمونها، وتقدّم بدائل واقعية للأنظمة الوضعية، بما يضمن عدالةً اقتصادية واجتماعية مستوحاة من تعاليم الإسلام.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): **(إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مَنَعَ غَنِيٌّ وَاللهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ)**[1].

فالإسلام لا يفصل الاقتصاد عن العبادة، بل يجعله وجهًا من وجوه العدل الإلهي.

ثالثًا: مواجهة جذور العلمانية

إنّ العلمانية لا تدخل إلى المجتمعات الإسلامية صراحةً، بل تتسلّل عبر الأفكار المموّهة والشعارات اللامعة. فهي تستعمل أدواتٍ ثقافية وإعلامية لا مواجهاتٍ مباشرة، ومن أبرز صورها:

١- العلمانية الجزئية: تحت شعار (دعوا الدين للعبادات، واتركوا السياسة والاقتصاد للعقل البشري)، وهي الخطوة الأولى نحو إقصاء الدين كليًّا.

٢- العلمانية الثقافية: عبر تشويه صورة التدين في الفن والإعلام، وإظهار المتدين بمظهر المتخلّف أو المتشدّد.

٣- العلمانية الناعمة: التي ترفع شعارات (الحرية) و(العقلانية) و(التقدّم)، لتوهم الناس بأن الدين يقف في وجه التطوّر، بينما هو في الحقيقة طريق التقدّم الحقيقي.

---

(١) الشيخ الحر العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة، ج٩ ص٢٩.

ونور الله لا يُطفأ مهما غطّته الشعارات، لأنّ الحقيقة الإلهية باقية ما بقي الإنسان.

رابعًا: المواجهة النفسية

الإنسان بطبيعته يبحث عن معنى وغاية لوجوده، فإذا فُصل الدين عن حياته فقد هذا المعنى، وامتلأ بالفراغ والضياع. فالعلمانية تُخدّر الجسد لكنها تُميت الروح.

قال تعالى: **((أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ))**[1].

والقلب الذي حُرم الذكر يعيش قلقًا دائمًا، ولو امتلك كلّ وسائل الرفاه المادي.

لقد أظهرت الدراسات النفسية أنّ المجتمعات المادية التي تنكّرت للدين تعاني من نسب انتحارٍ عالية، واكتئابٍ مزمن، لأنّها فقدت الغاية الوجودية التي تُسكّن النفس. وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): **(خَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ)**[2]. وقال (صلى الله عليه وآله): **(الْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ)**[3].

فمن امتلأ قلبه بالله لم يفتقر، ومن انفصل عن الله عاش في خواءٍ لا يُملأ بالمال ولا بالشهرة.

خامسًا: المواجهة الاجتماعية

إنّ التجارب التاريخية تثبت أن المجتمعات التي تبنّت العلمانية الشاملة انتهت إلى أزمة هويةٍ وضياعٍ قيميٍّ. ففي أوروبا الشرقية، بعد سقوط الشيوعية، عاشت الشعوب فراغًا روحيًّا لأن الأنظمة السابقة كانت قد ألغت الدين، فلما انهارت لم يجد الناس مرجعًا أخلاقيًا يستندون إليه.

وكذلك في تركيا الحديثة، التي حاولت فرض علمانيةٍ صارمةٍ قطعت صلة الأمة بجذورها الإسلامية، فكانت النتيجة صراعًا طويلًا بين التيار الغربي والهوية الإسلامية الأصيلة، ولا يزال أثر هذا الصراع شاخصًا حتى اليوم.

---

(١) سورة الرعد، الآية ٢٨.

(٢) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، ص٢٣٧.

(٣) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، ج٦٩ ص٥٦.

والمجتمع الذي يُقصي الدين عن القيادة، ويستبدل العدل بالهوى، لا يعرف استقرارًا ولا توازنًا.

وعليه، مواجهة العلمانية ليست صراعًا فكريًا فحسب، بل هي جهاد حضاري يرمي إلى استعادة الإنسان لفطرته، والمجتمع لهويّته، والأمة لرسالتها. والتحرّر من العلمانية لا يكون بالانفعال، بل بإحياء الدين وبيان شموله لكلّ مجالات الحياة، وبناء مؤسساتٍ مؤمنةٍ بالوحي، ترفع راية قوله تعالى: **((وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ))**[1].

فليكن شعار المؤمن: دينٌ شامل، وعقلٌ مستنير، وعملٌ مؤسّس على الهداية الإلهية، فإنّ الله وعد بنصر دينه مهما ادّعى الباطل انتصاره، قال تعالى: **((يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ))**[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٢.